رسالة من شاب عنوانها

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾

قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف:١٣].

نحن في الخطبة الثامنة عشرة من سلسلة قضايا الشباب:

تحدثنا: لماذا هذه السلسلة، الشباب في القرآن الكريم، الشباب في حديث سيدنا محمد ﷺ ، الشباب والعلم، الشباب والعمل، الشباب والمسجد، الشباب والعفة، الشباب ووسائل الاتصال الحديثة، الشباب وبر الوالدين، الشباب والحب، الشباب والهدف، الشباب والصلة بالله، الشباب والوقت, الشباب والشهادة في سبيل الله, وعنوان خطبة اليوم: **رسالة من شاب.**

أيها الإخوة:

وصلتني رسالةٌ لا أعرف صاحبها ، رأيت فيها نفعاً لكبارنا وصغارنا، لذكورنا وإناثنا، فأحببت أن أقرأها عليكم كما جاءت, فالقصص جندٌ من جنود الله تعالى يقوي بها إيمان المؤمنين.

قال الإمام ابن الجوزي: اعلم أن في ذكر القصص والسير والتاريخ فوائدَ كثيرة، من أهمها أن يُطَّلَع بذلك على عجائب الأمور، وتقلُّبات الزمن، وتصاريف القَدَر، وسماع الأخبار.

ولذلك – أيها الأخوة – سمى الله تعالى سورة من سور القرآن باسمِ القصص.

وقال لنبيه الكريم محمد ﷺ: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (176)﴾ [الأعراف: 176] **وقال:** ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: 111]

تقول الرسالة:

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾

فضيلةَ الشيخ, أنا شاب دعاني أحد جوار المسجد لحضور الدرس يوم الاثنين، فحضرته وكنت أخفي بكائي عن صديقي لشدة ما تأثرت بالحديث الذي انطبق على أسرتي فاسمع ما أقول:

مات والدي قبل حين، وفي صباح اليوم الثاني للوفاة، حضر محامي العائلة ومعه الوصية، لكنه لم يتمكن من قراءتها لشدة بكاء أخي الكبير وهو يقول له: راح الغالي لا داعي للرخيص، وحينما هدأ قرأ المحامي الوصية، وفيها: ثلثُ المال لبناء جامع، والثلث الثاني للجمعيات الخيرية وحصراً للأيتام، والثلث الباقي مع المحلات التجارية المؤجرة للورثة، ونحن لسنا بحاجة للمال فالله منعمٌ على الجميع.

الآن، أقول بين معترضتين:

– الوصية الجائزة في الشرع هي بثلث المال على الأكثر، ولا يحل شرعاً أن يوصي امرؤٌ بأكثر من ثلث ماله، عن سعد بن مالك رضي الله عنه قال: عادني رسول الله ﷺ وأنا مريض، فقال: «**أوصيتَ؟**» قلتُ: نعم، قال: «**بِكَم؟**» قلت: بمالي كلِّهِ في سبيل الله، قال: «**فما تركت لولدك؟**» قال: هم أغنياء بخير، قال: «**أوصِ بالعُشْرِ**» قال: فما زلت أناقِصهُ حتى قال: «**أوصِ بالثلث والثلث كثير**»[1]. من هنا أجمع العلماء على وجوب الاقتصار في الوصية على الثلث، وتكون الزيادة عن الثلث لمن أوصى بأكثر من الثلث موقوفةٌ على الإجازة، فإن أجاز الورثة الزائد على الثلث نفذت الوصية, وإن ردوا الزيادة بطلت – .

تقول الرسالة:

قرأ المحامي الوصية ... ونحن لسنا بحاجة للمال فالله منعم على الجميع، وفجأة انتفض أخي من مكانه, ونسي البكاء وأخذ الوصية ومزَّقها وداسها بحذائه وقال: هذه ليست وصية، هذه مؤامرة كي يحرمنا من الميراث، لن نبني الجامع، ولن نحقق رغبة والدي حتى لو خرج من قبره، وإذا تحققت فسأحرمه من ذهابي لقبره وقراءةِ الفاتحة طول عمري...! ثم إن الشام فيها أكثر من ألف مسجد, وليست بحاجة لمساجدَ جديدة.

ثم تحدث صهرنا وقال: لن نسمح للجمعيات الخيرية أن تأخذ ثلث المال؛ لأن النبي ﷺ قال: «الثلث كثير»، ولأن القائمين على الجمعيات الخيرية يلزمهم تقطيع أيدي وأرجل, – وهنا وضع كاتب الرسالة خطاً أحمر تحت كلمة تقطيع أيدي وأرجل لعبرةٍ ستعرفونها لاحقاً – وكلما ذهبتُ لأعطيهم مبلغاً من المال للأيتام والفقراء يعطونهم جزءاً يسيراً ويأخذون الباقي لمصالحهم الخاصة، أروني فقيراً واحداً بالجمعيات تحوَّل إلى غني وصار يعطي الجمعية من ماله، ونحن لن نطبق الوصية.

– هنا أحب أن أقاطع الرسالة لأقول:

---

(1) أخرجه بهذا اللفظ الترمذي في "جامعه" برقم (975) وأصل الحديث في "صحيح البخاري" برقم (2742), و"صحيح مسلم" برقم (4209).

قال رسول الله ﷺ: «**العامل على الصدقة بالحق كالغازي في سبيل الله حتى يرجع إلى بيته**»[1]

فهؤلاء الأخوة الكرام القائمون على رعاية الجمعيات الخيرية لهم نصيب كبيرٌ من هذا الحديث, ثمَّ إن الله تعالى يحمي شامنا بأمثال هؤلاء القائمين على إدارة هذه الجمعيات وأولئك المتبرعين القائمين على دعم هذه الجمعيات. أقول: بعض الجمعيات الخيرية في الشام أنفقت على أكثر من أربع مئة ألف مريض، وبعض الجمعيات الخيرية أنفقت على طلاب العلم الشرعي وخَرَّجت أكثر من عشرة آلاف مجاز بالشريعة موزعين في قارات العالم، وبعض الجمعيات تدعم زواج أكثر من ثمانية آلاف شاب وفتاة، فكثير من الناس يفيدون من هذه الجمعيات المباركة.

ثم إن في سورية ما يزيد على ألفي جمعية خيرية، وإذا كان عدد أعضاء تأسيس أية جمعية عشرة أشخاص, فعدد المؤسسين يزيد على العشرين ألفاً, فإذا ظهرَ من واحدٍ منهم –أو قل: من اثنين– سوءُ ائتمان فهذا لا يعني أن الجميع على هذه الشاكلة فنسبة واحدٍ أو اثنين إلى عشرين ألف لا تُجيز شرعاً ولا عقلاً أن يقول هذا الرجل ما قال في حق هؤلاء الصالحين الذين يرفعون عن البلد من البلاء النازل ما الله به عليم, خاصةً أن معظمهم من المشهود لهم بالعلم والتقى والصلاح والغنى والبحبوحة والرشاد.

ونعود إلى الرسالة:

بعد أن قال الأخ الكبير ما قال، وقال صهر العائلة ما قال, قال المحامي: هذه رغبة المرحوم وأنا أمام الله بريء وأنتم أحرار.

نزل المحامي بعد أيام العزاء مع شقيقي وسحب الرصيد من البنك وأحضره للبيت ووزَّعَهُ حسب الإرث الشرعي.

أخذتُ حصتي وأخبرتهم بأنني سأبني الجامع بهذا المال من حصتي نزولاً عند رغبة أبي، فأجابني أخي: بدلاً من بناء الجامع خَلِّص نفسك من المحكمة التي تطلبك والتي ستسجنك ثماني سنوات! ثم أقسم يميناً لو أنني سُجِنْتُ فلن يدخل على أولادي برغيف خبز – وهنا وضع كاتب الرسالة خطاً أحمر تحت العبارة الأخيرة: فلن أدخل على أولادك برغيف خبز – ثم بدأ المحامي بموضوع المحلات المؤجرة، قال أخي: لا حاجة لنا بإجاراتها؛

---

(1) أخرجه أبو داود في "سننه" برقم (2936), والترمذي في "جامعه" برقم (645), وأحمد في "مسنده" برقم (15826) من حديث رافع بن خديج ﷺ .

لأنها كلَّها لا تكفيني مصروف العيد لي ولأولادي، اعرض الملكية على المستأجرين، بزيادة أو بنقص، المهم أرحنا منهم.

قدَّر المحامي كل المحلات، فقلت: أنا أشتري الملكية, وسأجعل الأجارات للأيتام كي تقرَّ عينُ أبي.

هنا، قال أخي: أريد حصتي خمسة أضعاف طالما أنت الشاري – أيضاً وضع كاتب الرسالة خطاً أحمر تحت قوله: خمسة أضعاف– وقال صهرنا: ربما تحتاج بالمستقبل لعملية جراحية فلا تجد معك المال الكافي أنصحك أن تحافظ على نقودك.

تم البيع والشراء، وقبض أخي خمسةَ أضعاف الثمن ونالت أختي حصتها.

ثم طلبت من المحامي أن يجمع لي المستأجرين لأتعرَّف عليهم ونكتب العقود الجديدة، وهذا ما حصل، أخبرت المستأجرين أنني اشتريت الملكية ووهبت الأجارات كلَّها للأيتام فقال الأول: إذا كان الأمر كذلك؛ اذكر في العقد الجديد الأجرة خمسة أمثال ما كانت عليه؛ لأنني سأساهم معك بدعم الأيتام.

وقال الثاني: منذ ثلاث سنوات لم أدفع الأجرة لوالدك, احسبها كلَّها, واكتب في العقد الجديد الأجرة التي تريد، وسأدفع ضعف مجموع المبلغ المكسور عليّ.

قال الثالث: تعال للمحلّ وانظر بعين الله، وقدّر الأجرة الذي تريد وأنا موافق سلفاً، وكلما أتى رمضان سأعطيك مال الزكاة لتوصله للأيتام.

عندها انفجرت بالبكاء، وحينما سألوا المحامي عن سبب بكائي قال لهم: أنَّ أخاه باعه حصته من الملكية بخمسة أضعاف فعوّضه الله بخمسة أمثال الأجرة.

بالنسبة للمستأجر الأخير عندما زرته في رمضان الفائت دفع لي الأجرة لنهاية العام مقدماً ثم أعطاني كيساً، وقال: هذه زكاة المال ففتحت الكيس فوجدتُ فيه مبلغاً كبيراً قلت: أتضحكُ عليّ؟! هذه الزكاة أكثر من قيمة البضاعة التي بالمحلّ, فقال: لقد جمعت لك زكاة المال من أقربائي وأصحابي, لأنك خير من يوصل هذا المال للأيتام.

حين انتقلت الملكية لي اتجهتُ مع المحامي إلى إحدى الجمعيات الخيرية وأخبرت رئيسها أنني ورثت مبلغاً من المال أريد التبرع به فما مشاريعكم؟

قال: إن للجمعية بناءً للأيتام، وفي الجمعية معهد شرعي ينفق على طلاب العلم فأين تريد وضع مالك؟ حَرَّرْت له شيكاً بالمبلغ، فاندهش عندما قرأه وقال: هذا مبلغ كبيرٌ جداً، يكفينا لترميم المسجد والبدء ببناء مشروع الأيتام, فوضعت رأسي على الطاولة

وأخذني البكاء فسأل المحامي عن السبب فقال: مات والده ووصيته بناء مسجدٍ ورعايةُ أيتام فأبى الوارثون، والآن تحققت رغبة أبيه.

يقول الأخ كاتب الرسالة في نهايتها:

النتائج التي حصلتُ عليها بعدما سبق بأشهر:

1- صدر عفوٌ العام الماضي شملني، وانتهت قضيتي في المحكمة.

2- عندي ولد عمره ثماني عشرة سنة، معه شيء يسير من الإعاقة العقلية، بعد وفاة والدي بأشهر سقط من على درج البناء ونزف دماً كثيراً، فأسرعت به إلى المشفى واستدعيت طبيبه الخاص، وبعد أن أفاق من غيبوبته التي استمرت ثلاثة أسابيع زال الخطر عنه وصحا وعاد إلى ما كان عليه، قال لي الطبيب: إنه من النادر لأمثال هؤلاء إذا سقطوا ودخلوا في هذه الغيبوبة الطويلة أن يعودوا كما كانوا, لكن الله تعالى حمى لك ولدك بعملٍ خيّرٍ لا بدَّ أنك عملته في السر.

3- تورّط أخي الكبير مع الجمارك فغُرِّمَ أرقاماً مالية كبيرةً، وهو الآن في السجن, وكلما أحضرت لبيتي حاجاتي البيتية من الطعام والخضار والفاكهة والشراب، أرسلتُ السائق أولاً إلى بيت أخي ليأخذوا ما شاؤوا ثم أرسل الباقي إلى بيتي, - تذكروا الخط الأحمر في أول الرسالة الأخ الكبير قال: لو أنك سُجِنْتَ فلن أدخل على أولادك برغيف خبز -.

4- صهرنا أمضى ليلة رأس السنة الماضية في مكان فسقٍ مع أصدقائه وفي أثناء السهرة قدّمَ له صديق كأساً فقال له: يدي لا تستطيع حمل الكأس، فأجابه: اذهب إلى بيتك وارتحْ فأجابه: قدماي لا تحملاني على السير، حمله أصدقاؤه إلى المشفى وبعد أيام قرر الأطباء بتر قدمه بسبب الغرغرينا، يبدو أنه بدأ من إنتان في طبقة العضلات العميقة لم يُؤبَهْ له, ثم تمادى فكان التموت ثم القطع.

قُطِعَتْ قدم صهرنا وهو القائل: إن القائمين على الجمعيات الخيرية يلزمهم تقطيع أيدي وأرجل.

أيها الشيخ:

لا أدري كيف أشكر الله على نعمه التي لا تُحصى, ولا أعرف ما الذي أتى بي إلى هذا المسجد وفي هذا اليوم بالذات, فادعو لي الله أن يحبب إليَّ الصلاة والمداومة على

مجالس العلم، وأن يصلحني ويُصلح أخي وصهري وسائر أفراد أسرتي، فأنا لا أزال أحبهم وأتمنى لهم السلامة والهداية.

أيها الإخوة:

قال الله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (245) ﴾ [البقرة: 245]

وقال: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (46) ﴾[فصلت: 46]

والحمد لله رب العالمين